

تفسير البحر المحيط

@ 229 @ وهذا النداء والخطاب بالأمر هو استعارة مجازية ، وعلى هذا جمهور الحذاق .
وقيل : إن ا[] تعالى أحدث فيهما إدراكاً وفهماً لمعاني الخطاب . وروي أن أعرابياً سمع
هذه الآية فقال : هذا كلام القادرين ، وعارض ابن المقفع القرآن فلما وصل إلى هذه الآية
أمسك عن المعارضة وقال : هذا كلام لا يستطيع أحد من البشر أن يأتي بمثله . وقال ابن عباس
في قوله : وقضي الأمر ، غرق من غرق ، ونجا من نجا . وقال مجاهد : قضي الأمر بهلاكهم ،
وقال ابن قتيبة ، قضي الأمر فرغ منه ، وقال ابن الأنباري : أحكمت هلكة قوم نوح ، وقال
الزمخشري : أنجز ما وعد ا[] نوحاً من هلاك قومه . واستوت أي استقرت السفينة على الجودي ،
واستقرارها يوم عاشوراء من المحرّم قاله : ابن عباس ، والضحاك . وقيل : يوم الجمعة ،
وقيل : في ذي الحجة . وأقامت على الجوي شهراً ، وهبط بهم يوم عاشوراء . وذكروا أن
الجال تطاولت وتخاشع الجودي . وحديث بعث نوح عليه السلام الغراب والحمامة ليأتياه بخبر
كمال الغرق ا[] أعلم بما كان من ذلك . .

وقرأ الأعمش وابن أبي عبيدة على الجودي بسكون الياء مخففة . قال ابن عطية : وهما لغتان
، وقال صاحب اللوامح : هو تخفيف ياء النسب ، وهذا التخفيف بابه الشعر لشذوذه ،
والظاهر أن قوله : وقيل بعداً من قول ا[] تعالى كالأفعال السابقة ، وبنى الجميع للمفعول
للعلم بالفاعل ، وقيل : من قول نوح والمؤمنين ، قيل : ويحتمل أن يكون من قول الملائكة ،
قيل : ويحتمل أن يكون ذلك عبارة عن بلوغ الأمر ذلك المبلغ وإن لم يكن ، ثم قول محسوس .
ومعنى بعد إهلاكاً يقال : بعد يبعد بعداً وبعداً إذا هلك ، واللام في اللقوم من صلة
المصدر . وقيل : تتعلق بقوله : وقيل ، والتقدير وقيل لأجل الظالمين ، إذ لا يمكن أن
يخاطب الهالك إلا على سبيل المجاز . ومعنى ونادى نوح ربه أي : أراد أن يناديه ، ولذلك
أدخل الفاء ، إذ لو كان أراد حقيقة النداء والأخبار عن وقوعه منه لم تدخل الفاء في فقال
: { إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ }
والواو في هذه الجملة لا ترتب أيضاً ، وذلك أن هذه القصة كانت أول ما ركب نوح السفينة ،
ويظهر من كلام الطبري أن ذلك من بعد غرق الابن . وفي قوله : إن ابني من أهلي ، ظهور أنه
ولده لصلبه . ومعنى من أهلي أي : الذي أمرت أن أحملهم في السفينة لقوله : { اْخْمَلْ
فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ } ولم يظن أنه داخل فيمن استثناه
ا[] بقوله : إلا من سبق عليه القول منهم لظنه أنه مؤمن وعموم قوله : ومن آمن يشمل من آمن
من أهله ومن غير أهله ، وحسن الخطاب بقوله : وإن وعدك الحق ، أي الوعد الثابت الذي لا

شك في إنجازهِ والوفاء به ، وقد وعدتني أن تنجي أهلي ، وأنت أعلم الحكام وأعدلهم . .
قال الزمخشري : ويجوز أن تكون من الحكمة حاكم بمعنى النسبة ، كما يقال : دارع من
الدرع ، وحائض وطالق على مذهب الخليل انتهى . ومعنى ليس من أهلك على قول من قال : إنه
ابنه لصلبه أي الناجين ، أو الذين عمهم الوعد . ومن زعم أنه ربيبه فهو ليس من أهله
حقيقة ، إذ لا نسبة بينه وبينه بولادة ، فعلى هذا نفى ما قدّر أنه داخل في قوله : وأهلك
، ثم علل انتفاء كونه ليس من أهله بأنه عمل غير صالح . والظاهر أن الضمير في أنه عائد
على ابن نوح لا على النداء المفهوم من قوله : ونادى المتضمن سؤال ربه ، وجعله نفس العمل
مبالغة في ذمه كما قال : فإنما هي إقبال وإدبار ، هذا على قراءة جمهور السبعة . وقرأ
الكسائي : عمل غير صالح جعله فعلاً ناصباً غير صالح ، وهي قراءة : علي ، وأنس ، وابن
عباس ، وعائشة ، وروتها عائشة وأم سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم) ، وهذا يرجح أن
الضمير يعود على ابن نوح . قيل : ويرجح كون الضمير في أنه عائد على نداء نوح المتضمن
السؤال أن في مصحف ابن مسعود أنه عمل غير صالح إن تسألني ما ليس لك به علم . وقيل :
يعود على الضمير في هذه القراءة على ركوب ولد نوح معهم الذي تضمنه سؤال نوح المعنى :
أن كونه مع الكافرين وتركه الركوب مع المؤمنين عمل غير صالح ، وكون الضمير في أنه
عائداً على غير ابن نوح عليه السلام تكلف وتعسف لا يليق بالقرآن . قال الزمخشري : (فإن
قلت) : فهلا قيل إنه عمل فاسد ؟ (قلت) : لما نفاه من